البَيَانُ و الوُضُوحُ
فى
حَدِيثِ نَفْخِ الرٌّوحِ

****

جَمَعَهُ وأَلَّفَ بَيْنَهُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّه
أَبوسفيان ناصر بن محمود الهَاشِمِىُّ

****

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُه.

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102] .

{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1] .

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديث كلامُ الله تعالى، وخيرَ الهدي هديُ محمد- صلى الله عليه وسلم- , وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ.

وبعد: فإن الله – عَزَّ و جَلَّ – يقول فى كتابه العزيز: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (21 الذاريات)

يلفت ربنا- جلَّ و علا- أنظار خلقه إلى أنفسهم وذواتهم. فى حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال،ثم فى التركيب المحكم للأجساد و الأعضاء. من عجائب الفطر, وبدائع الخلق، ما تتحير فيه الأذهان، ثم فى اختلاف الألسن والألوان،, ثم فى تفاوت العقول والأفهام . فى كل ذلك وغيره، عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين.

ولأن العقل لا يستقل بمعرفة حدوده ومداركه, فضلًا عن الأمور الغيبية وما يجب عليه تجاه خالقه, " فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ " (البقرة 213), ذلك بأنَّ له حدوداً لا يتعداها, ومدارك لا يتجاوزها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: فالعقل شرط فى معرفة العلوم وكمال الأعمال, لكنه ليس مستقلاً بذلك, فهو بمنزلة قوة البصر فى العين, فإن اتصل به – أى العقل- نور الإيمان والقرءان, كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس و النار. (الفتاوى 3: 338, 339)

لذا كان من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة , عدمُ مخالفة العقل الصريح الواضح للنقل الصحيح الثابت, وإذا حدث تعارض فى الظاهر , فإما أنْ يكون النقلُ غيرَ ثابتٍ , وإما أنَّ العقلَ غيرُ مدركٍ.

ويقول أيضًا: "كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول, والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ولكن كثيرًا من الناس يغلطون إما فى هذا وإما فى هذا, فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفًا بالأدلة الشرعية, وليس فى المعقول ما يخالف المنقول. (السابق12: 80, 81).

والقرآن الكريم كتاب معجز ليس فقط في ناحيته اللغوية , ولكن في نواح عديدة أخرى يتم الكشف عنها مع مرور الأيام ، فلقد أنبأ القرآن عن أحداث غيبية تم التحقق منها فيما بعد مثل انتصار المسلمين على المشركين, كما قال تعالى :" سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (القمر 45), وقدكان فى غزوة بدر.

وفي العصور الحديثة، وخاصة بعد الثورة العلمية في القرن التاسع عشر والتي وصلت ذروتها في القرن العشرين , ما زال التقدم العلمي يقفز قفزات كبيرة ، ليتراءى لنا إعجاز القرآن الكريم – بالإضافة للإعجاز اللغوي – في المجال العلمي, قال تعالى : " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " (فصلت 53).

فلا تثريب أن يستثمر المسلمون النتائج العلمية الجديدة , بما لا يتعارض مع ما جاء به القرءان العظيم, وما صح عن نبينا الكريم– صلى الله عليه وسلم– , ويمكننا أن نعتبر هذا عنصراً في الدعوة الإسلامية نثبت به للأمم المكذبة و الجاهلة! أن القرآن الكريم:" لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) (فصلت), وأنَّ رسول الله– صلى الله عليه وسلم– " مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) (النجم).

ومن هذه النتائج اكتشاف المراحل والأطوار الأساسية للتخلق البشري من لحظة الحمل إلى الولادة، وفي الكتاب العزيز: " وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14 نوح) . أى: وقد خلقكم حالا بعد حال ، طوراً نُطْفة، وطوراً عَلَقة، وطوراً مضغة. (تفسير الطبرى: ج23 ص 635)

وقد فصل ربنا – تبارك وتعالى– هذه الأطوار فى قوله: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) (المؤمنون 12: 14).

يقول ابن كثير فى تفسيره : يقول تعالى مخبرًا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو

آدم – عليه السلام –، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون.
{ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً } : هذا الضمير عائد على جنس الإنسان، كما قال في الآية الأخرى: { وَبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ } [السجدة: 7، 8] .
{ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً } أي: ثم صَيَّرنا النطفة، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل – وهو ظهره–, وترائب المرأة – وهي عظام صدرها – فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة. قال عكرمة: وهي دم.
{ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً } : وهي قطعة كالبَضعة من اللحم، لا شكل فيها ولا تخطيط، { فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا } يعني: شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.
{فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} أي: وجعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه،{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} أي: ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار {خَلْقًا آخَرَ} ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب.
قال ابن عباس:{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} يعني به: الروح, ورُوي ذلك عن على بن أبى طالب وأبي سعيد الخدري. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والشعبي، والحسن، وأبو العالية، والضحاك، والربيع بن أنس، والسدي ، وابنُ زيد، واختاره ابنُ جرير .
وقال العَوْفِيّ، عن ابن عباس: { ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ } يعني: ننقله من حال إلى حال، إلى أن خرج طفلا ثم نشأ صغيرًا، ثم احتلم، ثم صار شابًّا، ثم كهلا ثم شيخًا، ثم هرما.
وعن قتادة، والضحاك نحو ذلك.
ولا منافاة، فإنه من ابتداء نفخ الروح فيه شرَع في هذه التنقلات والأحوال. والله أعلم.
"تفسير القرءان العظيم ج **5** ص **465 : 468**"
وفى الصحيحين "واللفظ للبخارى" من حديث عَبْدِاللَّهِ بن مسعود – رضى الله عنه – قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه يرفعه أنه قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ نُطْفَةٌ أَىْ رَبِّ عَلَقَةٌ أَىْ رَبِّ مُضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِىَ خَلْقًا – قَالَ – قَالَ الْمَلَكُ أَىْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى شَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الأَجَلُ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ ». "متفق عليه واللفظ لمسلم".

وروى مسلم أيضًا عَنْ أَبِى الزُّبَيْرِ الْمَكِّىِّ أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ الشَّقِىُّ مَنْ شَقِىَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ. فَأَتَى رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– يُقَالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِىُّ فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ. فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ . فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِى يَدِهِ فَلاَ يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلاَ يَنْقُصُ ».

وفى رواية عن أَبِى الطُّفَيْلِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِى سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِىِّ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–بِأُذُنَىَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ«إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِى الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ».قَالَ زُهَيْرٌ حَسِبْتُهُ قَالَ الَّذِى يَخْلُقُهَا, « فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَسَوِىٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِىٍّ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِىٍّ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ مَا أَجَلُهُ مَا خُلُقُهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ».

قال النووى فى معرض شرحه لحديث ابن مسعود – رضى الله عنه –: (ثم يرسل الملك) ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يوما, وفي الرواية التي بعد هذه يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقي أم سعيد, وفي الرواية الثالثة إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها.

قال العلماء (والكلام للنووى) : طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة,ثم فيه تصرف آخر في وقت آخر وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكرًا أم أنثى, وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة وهي مدة المضغة , وقبل انقضاء هذه الأربعين وقبل نفخ الروح فيه لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته , وأما قوله في إحدى

الروايات فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك, ثم يقول: يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك, وذكر رزقه, فقال القاضي وغيره ليس هو على ظاهره, ولا يصح حمله على ظاهره بل المراد بتصويرها وخلق سمعها الى آخره أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجود في العادة وإنما يقع في الأربعين الثالثة وهي مدة المضغة ثم يكون للملك فيه تصوير آخر وهو وقت نفخ الروح عقب الأربعين الثالثة حين يكمل له أربعة أشهر واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر. (شرح مسلم للنووى ج 8 ص 189 , 190).

قال ابن حجر – رحمه الله– :والمراد بالجمع ضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار, قال ابن الأثير في النهاية يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم أي تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ثم تخلق بعد ذلك.

وقد اختلف فى ابتداء جمع المني فقد وقع في حديث مالك بن الحويرث رفعه ما ظاهره يخالف التفسير المذكور ولفظه إذا أراد الله خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعضو منها فإذا كان يوم السابع جمعه الله, ثم احضره كل عرق له دون آدم في أي صورة ما شاء ركبه وفي لفظ ثم تلا في أي صورة ما شاء ركبك , وله شاهد من حديث رباح اللخمي لكن ليس فيه ذكر يوم السابع, وظاهر الروايات الأخرى أن ابتداء جمعه من ابتداء الأربعين .

ثم تكون علقة مثل ذلك, وفي رواية مسلم ثم تكون في ذلك علقة مثل ذلك وتكون هنا بمعنى تصير, ومعناه أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين, ثم تنقلب إلى الصفة التي تليها ويحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئا فشيئا فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها وتجري في أجزائها شيئا فشيئا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين , ثم يخالطها اللحم شيئا فشيئا إلى أن تشتد فتصير مضغة ولاتسمى علقة قبل ذلك مادامت نطفة وكذا مابعد ذلك من زمان العلقة والمضغة.

وقد نقل الفاضل علي بن المهذب الحموي الطبيب اتفاق الأطباء على أن خلق الجنين في الرحم يكون في نحو الأربعين ويكون أقبل للشكل والتصوير.

ثم يكون علقة مثل ذلك والعلقة قطعة دم جامد, قالوا وتكون حركة الجنين في ضعف المدة التي يخلق فيها , ثم يكون مضغة مثل ذلك أي لحمة صغيرة وهي الأربعون الثالثة فتتحرك, قال واتفق العلماء على أن نفخ الروح لايكون إلا بعد أربعة أشهر. (فتح البارى ج11 ص 479: 481 مقتصرا).

النتائج العلمية الحديثة (من كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة):

لقد شهد هذا العصر نهضة علمية في شتى المجالات , ومن ضمن تلك المجالات ما يتعلق بعلم الأجنة ومراحل تخلق الإنسان, هذا العلم الذى نرى في كتاب الله تعالى, وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم– بيانًا واضحًا لا تشوبه أي شائبة فيه, من بداية تخلق الإنسان, وأنه يتقلب في أطوار ومراحل, يقول الله تبارك وتعالى : (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) [نوح :14], ولم يقف القرآن العظيم عند هذا الحد , بل ذكر كل تلك الأطوار والمراحل التي يمر بها الإنسان, وأعطى كل طور تسمية خاصة به تصف شكل هذا الطور وأهم التغيرات التي تحدث فيه, مما يدل على أن هذا القرآن نزل بعلم الله, قال تعالى:(قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً [الفرقان:6] ,ويقول تعالى :(لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً) [النساء: 166].

المعلومات الجنينية في القرآن والسنة :

لقد وصف القرآن والسنة في القرن السابع الميلادي ؛ وبأسلوب رفيع رائع الكثير من هذه المكتشفات المدهشة التي اكتشفها العلم الحديث بأجهزته وأساليب بحثه , فأوضح القرآن أن الإنسان يخلق من مزيج من إفرازات الرجل والمرأة, وأن الكائن الحي الذي ينجم عن الإخصاب يستقر في رحم المرأة على هيئة بذرة, وأن انغراس كيس الجرثومة (النطفة) يشبه فعلاً عملية زرع البذرة , كما يتضمن أيضاً معلومات عن المراحل الأخرى , كمرحلة العلقة والمضغة والهيكل العظمي وكساء العظم بالعضلات.

ويشير القرآن والسنة إلى توقيت التخلق الجنسي والجنيني واكتساب المظهر البشري , وهذه النصوص تثير الدهشة إذ أنها تشير إلى أحداث التخلق بترتيبها المتسلسل الصحيح وبوصف واضح دقيق .

يؤكد القرآن الكريم أطوار التخلق البشري في الآيات التالية:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون: 12–14].

فقسمت الآيات أطوار تخلق الجنين الإنساني إلى ستة أطوار أساسية, وهي:

1– طور النطفة . 2– طور العلقة . 3– طور المضغة.

4– طور العظام. 5– طور الكساء باللحم. 6– طور النشأة .

أولاً: طور النطفة:

والنطفة في لغة العرب تطلق على عدة معان منها : القليل من الماء , والذي يعدل قطرة. (لسان العرب (9/ 335).

خلال عملية الإخصاب يرحل ماء الرجل من المهبل ليقابل البويضة في ماء المرأة في قناة البويضات (قناة فالوب), ولا يصل من ماء الرجل إلا القليل ويخترق حيوان منوي واحد البويضة، ويحدث عقب ذلك مباشرة تغير سريع في غشائها يمنع دخول بقية المنويات،وبدخول المنوي في البويضة تتكون النطفة الأمشاج أي البويضة الملقحة (الزيجوت) **Zygote**, وهى قطرة مختلطة من مائين, تحمل صفات الأسلاف والأحفاد لكل جنين, ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى :(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) [الإنسان: 2].

والمنوي يوجد فيه (23) حاملاً وراثياً, كما يوجد في البييضة (23) حاملاً وراثياً, فاختلاطهما يشكل خلية بداخلها (46) حاملاً وراثياً, فتخلق أول خلية إنسانية ,وهو البداية الحقيقية لوجود الكائن الإنساني.

في نهاية مرحلة النطفة الأمشاج ينغرس كيس الجرثومة في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض, وإلى هذا تشير الآية في قوله تعالى: (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[البقرة:223], وبهذا الانغراس يبدأ طور الحرث, وذلك في اليوم السادس من عمر النطفة , وقد استخدم القرآن مصطلح (حرث) وهو أكثر مناسبة من مصطلح (انغراس) الذي يستخدمه علماء الأجنة.

وطور الحرث هو آخر طور النطفة,وبنهايته تنتقل النطفة إلى طور العلقة في اليوم الخامس عشر.

ثانياً: طور العلقة :

وردت كلمة علقة في اللغة بالمعاني التالية:

أ – علقة مشتقة من (علق) وهو: الالتصاق والتعلق بشيء ما .

ب – العلقة: دودة في الماء تمتص الدماء, وتعيش في البرك, وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها.

ج– العلق: الدم عامة والشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد (لسان العرب (10 / 267), و مقاييس اللغة (4/ 125), والقاموس المحيط (3/ 275), وتطلق أيضاً على الدم الرطب (زاد المسير (5/ 406) ,و فتح القدير (5/ 468), و البحر المحيط (6/ 468).

بعد عملية الحرث تبدأ عملية تعلق الجنين بالمشيمة وذلك حوالي اليوم الخامس عشر,وهذا يتفق مع المعنى الأول للعلقة وهو (التعلق بالشيء).

ويأخذ الجنين في هذا الطور شكل الدودة, ويبدأ في التغذي من دماء الأم مثلما تفعل الدودة العالقة إذ تتغذى على دماء الحيوانات, ويحاط الجنين بمائع مخاطي تماماً مثلما تحاط الدودة بالماء , وهذا يتطابق مع المعنى الثاني من معاني العلقة في اللغة.

وتكون الدماء محبوسة في الأوعية الدموية حتى وإن كان الدم سائلاً, ولا يبدأ الدم في الدوران حتى نهاية الأسبوع الثالث, وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه رطباً, وهذا ينطبق مع المعنى الثالث من معاني العلقة, فاشتملت كلمة علقة على الملامح الأساسية الخارجية والداخلية لهذا الطور.

ثالثاً: طور المضغة :

يكون الجنين في اليومين 23– 24 في نهاية مرحلة العلقة, ثم يتحول إلى مرحلة المضغة في اليومين 25– 26 , ويكون هذا التحول سريعاً جداً, وتأخذ الفلقات في الظهور لتصبح معلماً بارزاً لهذا الطور, ويصف القرآن الكريم هذا التحول السريع للجنين من طور العلقة إلى المضغة باستخدام حرف العطف (ف) الذي يفيد التتابع السريع للأحداث.

من معاني المضغة في اللغة:

أ – شيء لاكته الأسنان (تاج العروس (6/ 30) و مقاييس اللغة (5 / 330).

ب– تقول العرب: مضغ الأمور, وتعني صغارها (لسان العرب (8/ 450– 452).

وقد أوضح علم الأجنة الحديث مدى الدقة في التعبير عن هذا الطور بلفظ (مضغة) لعدة أمور:

1 – ظهور الفلقات في هذا الطور يعطي مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان في المادة الممضوغة, وتبدو وهي تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان في شكل مادة تمضغ حين لوكها .

2– تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكون أنسجة جديدة,ويشبه ذلك تغير وضع وشكل المادة حينما تلوكها الأسنان .

3 – وكما تستدير المادة الممضوغة قبل أن تبلع, فإن ظهر الجنين ينحني ويصبح مقوساً شبه مستدير مثل حرف (C) .

4– ويكون طول الجنين حوالي (1) سم في نهاية هذه المرحلة, وذلك مطابق للوجه الثاني من معاني كلمة مضغة (وهو الشيء الصغير من المادة) , وهذا المعنى ينطبق على حجم الجنين الصغير؛ لأن جميع أجهزة الإنسان تتخلق في مرحلة المضغة , فيكون أصغر حجم لإنسان تخلقت جميع أجزائه .

ووجد العلماء أن الفلقات سرعان ما تتمايز إلى خلايا تتطور إلى أعضاء مختلفة, وبعض هذه الأعضاء والأجهزة تتكون في مرحلة المضغة, والبعض الآخر في مراحل لاحقة, وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة:(ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَة) [الحج: 5] .

رابعاً: طور العظام:

مع بداية الأسبوع السابع (بعد مرور ستة أسابيع على الأطوار الثلاثة الأول), يبدأ الهيكل العظمي الغضروفي في الانتشار في الجسم كله، فيأخذ الجنين شكل الهيكل العظمي, وتكَوُّن العظام هو أبرز تكوين في هذا الطور حيث يتم الانتقال من شكل المضغة الذي لا ترى فيه ملامح الصورة الآدمية إلى بداية شكل الهيكل العظمي في فترة زمنية وجيزة، وهذا الهيكل العظمي هو الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي.

ومصطلح العظام الذي أطلقه القرآن الكريم على هذا الطور هو المصطلح الذي يعبر عن هذه المرحلة من حياة الحُمَيل تعبيرًا دقيقًا يشمل المظهر الخارجي، وهو أهم تغيير في البناء الداخلي وما يصاحبه من علاقات جديدة بين أجزاء الجسم واستواء في مظهر الحُمَيل ويتميز بوضوح عن طور المضغة الذي قبله، قال تعالى: (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) [المؤمنون: 14].

خامساً: طور الكساء باللحم:

يتميز هذا الطور بانتشار العضلات حول العظام وإحاطتها بها كما يحيط الكساء بلابسه, وبتمام

كساء العظام بالعضلات تبدأ الصورة الآدمية بالاعتدال، فترتبط أجزاء الجسم بعلاقات أكثر تناسقاً، وبعد تمام تكوين العضلات يمكن للجنين أن يبدأ بالتحرك.

تبدأ مرحلة كساء العظام باللحم في نهاية الأسبوع السابع وتستمر إلى نهاية الأسبوع الثامن ، وتأتي عقب طور العظام كما بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: (فكسونا الْعِظَامَ لَحْمَاً) [المؤمنون: 14].

ويعتبر هذا الطور الذي ينتهي بنهاية الأسبوع الثامن نهاية مرحلة التخلق ، كما اصطلح علماء الأجنة على اعتبار نهاية الأسبوع الثامن نهاية لمرحلة الحُمَيل (EMBRYO) ثم تأتي بعدها مرحلة الجنين (FETUS) التي توافق مرحلة النشأة، كما جاء في قوله تعالى: (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[المؤمنون: 14].

سادساً: طور النشأة:

كلمة (نشأة) مشتقة من الفعل (نشأ) ومن معانيها:

1- ابتدأ (لسان العرب (1/ 171).

2- نما (المعجم الوسيط (2/ 920) و الصحاح للجوهري (1/ 77).

3- ارتفع (لسان العرب (1/ 171) وتاج العروس (1/126).

يبدأ هذا الطور بعد مرحلة الكساء باللحم ، أي من الأسبوع التاسع ويستغرق فترة زمنية يدل عليها استعمال حرف العطف (ثم) الذي يدل على فاصل زمني بين الكساء باللحم والنشأة خلقًا آخر، قال تعالى: (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) [المؤمنون: 14].

وفي خلال هذا الطور تتم عدة عمليات هامة في نمو الجنين .

نقلاً من كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة , مجموعة من أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي " بتصرف يسير".

مما سبق يتبين لنا : أن الأطوار الأولى للتخليق – النطفة والعلقة والمضغة – تنتهى بعد الأربعين يومًا, وهذا يدل باللزوم على أن نفخ الروح سيليها, مما يتعارض مع ما نقله ابن حجر والنووى من اتفاق أهل العلم – إن صح ثبوته وإلا فهو مدخول وسيأتى – على أن نفخ الروح يكون بعد المائة والعشرين يومًا لظاهر حديث ابن مسعود – رضى الله عنه-.

والصحيح الذى لا مرية فيه أنه لا يتعارض نصٌ صحيحٌ وعقلٌ صريحٌ ,والمقصود بالعقل الصريح أي السليم من الآفات الدخيلة على العقل ، هذا معتقد أهل السنة والجماعة – جزاهم الله خيراً

وحشرنا وإياهم في زمرة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه-، فإذا وجد ما يوهم التعارض فيُنظر أولًا في صحة النقل، إذا كان المنقول من السنة, فإذا ثبتت صحته حينئذ يُنظر في صراحة العقل وسلامته من الآفات الدخيلة عليه، فإذا توفر الأمران فإنه أبدًا لا يمكن أن يتعارض النقل مع العقل، فإن الذي أنزل النص هو الذي خلق العقل وهو أصدق حديثًا وأحسن قيلًا .

(إن الحديث و الفقه توأمان لا ينفكان ؛ فإن جزءًا كبيرًا من الفقه إنما هو ثمرة للحديث ؛ ذلك لأن الحديث النبوي الشريف أحد المراجع الرئيسة للفقه الإسلامي ؛ ومن هنا كان علم الحديث رواية و دراية من أشرف العلوم وأجلها ، بل هو أجلها على الإطلاق بعد العلم بالقرآن الكريم الذي هو أصل الدين ومنبع الطريق المستقيم.

وهذا الأخير تندرج تحته فروع كثيرة، ومنها : علم العلل، وهذا الفرع من فروع علم الحديث جليل المقدار؛ لأنه كالميزان في رد أو قبول الأخبار والآثار، ومعرفة هذا النوع من أدق فنون علم الحديث وأكثرها تشعبا , وذلك لأن أثر إعلال الحديث عند المحدثين هو الامتناع عن استنباط الأحكام منه وبنائها عليه).(مقدمة أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء بتصرف).

وزيادة الثقة من القضايا الخفية في علل الحديث ، وقد أولى المتقدمون لزيادة الثقة أهمية كبيرة فالزيادة نوع من أنواع الاختلاف سواء كان في المتن أو في السند , وقد عرفت في اصطلاح المحدثين ((بأنها ما انفرد به الراوي من زيادة – في المتن أو في السند– عن بقية الرواة، عن شيخ لهم)) (اختصار علوم الحديث ص61).

ومن الطبيعي أن يختلف الرواة في بعض الأحيان سندًا أو متنًا ولا غرابة في ذلك؛ اذ يبعد عادة أن يكون الجميع في مستوى واحد من الاهتمام و التيقظ و التثبت و الدقة و الضبط منذ تلقي الأحاديث من أصحابها الى حين أدائها ، لأن المواهب متفاوتة فمنهم من بلغ أوج مراتب الثقات ، ومنهم من هو في أدنى هذه المراتب ، ومنهم من هو بين الحدين ، وهذا الفريق على درجات متفاوتة.

وقد اختلف العلماء في حكم زيادة الثقة على أقوال كثيرة والذي ينظر فيها يرى أقوالًا متباينةً جدًا ؛ ووجهات نظر العلماء فيها مختلفة اختلافًا واسعًا ؛ ومن ينظر في صنيع الأئمة السابقين والمختصين في هذا الشأن يراهم لا يقبلونها مطلقًا ولا يردونها مطلقًا بل مرجع ذلك الى القرائن

والترجيح: فتقبل تارة، وترد أخرى، ويتوقف فيها أحيانا. (أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء ج6 ص 49 : 53 بتصرف).

قال الحافظ ابن حجر: (والمنقول عن أئمة الحديث المتقدمين – كعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى القطان ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، والبخاري , وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، والنسائي ، والدار قطني و غيرهم – اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة وغيرها، ولا يعرف عن أحد منهم قبول إطلاق الزيادة) "نزهة النظر ص 96".

وعليه أقول وبالله التوفيق ومنه أستمد العون وحسن التحقيق:

إن النطفة هى أولى المراحل التى يمر بها الجنين فى بطن أمه, وهذا من المتفق عليه نقلًا و عقلًا, وقد وردت فى بعض طرق الحديث وألفاظه, إلا أنها لم تثبت عند جهابذة الحديث, ولم يتعرض لذكرها أصحاب الصحاح أو السنن أو المسانيد (المراجع الرئيسة) فى مصنفاتهم.

وهذا الحديث من حيث سنده: فَرْدٌ في أَوله, تفرد به عبد الله بن مسعود– رضى الله عنه–, وعن ابن مسعود تفرد به: زيد بن وهب الجهنى, وعن ابن وهب رواه الأعمش فى الصحيحين وغيرهما, وعنه اشتهر, فقد رواه عنه جماعة منهم: شعبة, والثوري, ووكيع, ويحيى القطان, وأَبو الأحوص سلام بن سليم, وأبو معاوية الضرير وغيرهم, وهؤلاء جبال في الرواية والحفظ والإِتقان والعلم, لم يذكر أحدٌ منهم لفظة "نطفة".

وقد توبع الأعمشُ على روايته, فقد رواه أحمد فى مسنده, والنسائى فى سننه وغيرهما عن سلمةَ بنِ كُهيل عن ابنِ وهبٍ به (بدون زيادة).

إلا أنه قد وردت روايات مسندة ذكرت فيها هذه اللفظة , ودونك هذه الروايات مع اختلاف مواضعها وهى:

1–ما رواه الطحاوى (مشكل الآثار ج3 ص359) قال :حدثنا يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال: حدثني جرير بن حازم، عن سليمان بن مهران، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تكون النطفة في الرحم أربعين ليلة نطفة ، وأربعين ليلة علقة ، وأربعين ليلة مضغة .... ».

قلت: لم يروه بهذا اللفظ غير الأعمش تفرد به جرير بن حازم , وهو من أوهامه و غرائبه.

فقد ذكره الترمذي في كتاب «العلل 131/1» عن البخاري قال : هو صحيح الكتاب إلا أنه ربما وهم في الشيء.

وعن علي بن المديني قال: قلت ليحيى بن سعيد أبو الأشهب أحب إليك أم جرير بن حازم ؟ قال: ما أقربهما، ولكن كان جرير أكثرهما، وكان يهم في الشيء.

وقال المروذى: وسألته – يعنى الإمام أحمد – عن جرير بن حازم فقال : في بعض حديثه شئ ، وليس به بأس «العلل ومعرفة الرجال 36/1».

و ذكره ابن حبان في « الثقات ج6 ص145» قال: كان يخطئ؛ لأن أكثر ما كان يحدث من حفظه.

و ذكره ابن عدى فى (الكامل فى الضعفاء ج2 ص 126) وأورد له أحاديث وقال: تفرد بها ابن وهب عن جرير بن حازم ولابن وهب عن جرير غير ما ذكرت غرائب.

وقال أيضًا (2/ 128): وهذا خطأ ولا أدري الخطأ من جرير أم من ابن وهب.

وهو في محل الصدق الا أنه يخطئ أحيانا (الكامل 2 / 129).

وقال الذهبى (تاريخ الإسلام ج 4 ص 320): رَحَلَ فِي الشَّيْخُوخَةِ إِلَى مِصْرَ فَسَمِعَ بِهَا وَأَسْمَعَ. قَدْ وَثَّقَهُ النَّاسُ، وَلَكِنَّهُ تَغَيَّرَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَحَجَبَهُ ابْنُهُ وَهْبٌ، فَمَاسَمِعَ مِنْهُ أَحَدٌ فِي اخْتِلاطِهِ، وَلَهُ أَحَادِيثُ يَنْفَرِدُ بِهَا فِيهَا نَكَارَةٌ وَغَرَابَةٌ، وَلِهَذَا يَقُولُ فِيهِ الْبُخَارِيُّ: رُبَّمَا يَهِمُ.

وقال الساجي: صدوق حدث بمصر أحاديث وهم فيها وهي مقلوبة، حدثني حسين عن الأثرم قال: قال أحمد بن حنبل: جرير بن حازم حدث بالوهم بمصر لم يكن يحفظ. « إكمال تهذيب الكمال ج3 ص181»

وفي كتاب «الثقات» لابن خلفون: قال أبو الفتح الأزدي: جرير بن حازم امرؤ صدوق ، خرج عنه بمصر أحاديث مقلوبة، ولم يكن بالحافظ، حمل رشدين وغيره عنه مناكير. « المصدر السابق ».

قلت: وهذا الحديث من رواية المصريين, فهو من رواية ابن وهب عنه, وقد تابعه ابن لهيعة فيما أورده ابن عدى فى (الكامل ج2 ص130).

2- ما أخرجه الشاشي فى مسنده من طريق وهب عن شعبة عن الأعمش به ولفظه : « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين ليلة وأربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك .... الحديث", بهذه الزيادة "نطفة أربعين ليلة وأربعين يوما", وهى زيادة تفرد بها وهب بن جرير عن شعبة, فقد رواه عن شعبة بدون الزيادة (على ما وقفت عليه) كلٌ من :

أبو داود الطيالسى (مسند الطيالسى), **أبو الوليد الطيالسى** (صحيحى البخاري وابن حبان),**آدم بن أبي إياس** (صحيح البخاري), **معاذ بن معاذ العنبرى** (صحيح مسلم), **حفص بن عمر النمري** (سنن أبي داود), **شعيث بن محرز** (صحيح ابن حبان), **سليمان بن حرب و حجاج بن المنهال** (مسند الشاشى).

و وهب مع ثقته وجلالته, إلا أنه قد تكلم فيه.

فقد ذكره ابن حبان فى كتاب " الثقات " وقال: كان يخطىء .

وقال العقيلى: قال أحمد: قال ابن مهدى: ها هنا قوم يحدثون عن شعبة ما رأيناهم عنده، يعرض بوهب .

وقال أحمد: ما رؤى وهب قط عند شعبة ، ولكن كان وهب صاحب سنة ، حدث زعموا عن شعبة بنحو أربعة آلاف حديث ، قال عفان: هذه أحاديث عبدالرحمن الرصاصى ، شيخ سمع من شعبة كثيرا، ثم وقع إلى مصر.

فعدم ورود هذه الزيادة عن أحد من تلاميذ شعبة , وعدم ورودها عن أحد من تلاميذ الأعمش يدل على شذوذها وأنها زيادة غير صحيحة ، أخطأ فيها وهب بن جرير حين حدث بها ، وهذه الزيادة مع شدة الفردية لا تقبل.

3- ما روى من طريق زهير بن معاوية عن الأعمش به ولفظه:" إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون نطفة مثل ذلك ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك .... الحديث", ولم يروه عن زهير إلا ابن الجعد, خرَّجه أبو القاسم البغوى عنه فى "الجعديات (مسند ابن الجعد ج1 ص 382)" **بهذه الزيادة ثم يكون نطفة مثل ذلك, وهى غلط يقينًا, فهى مع صحة سندها مخالفة للروايات الأخرى, ومخالفة أيضًا للمتقرر نقلًا و عقلًا, فماذا عساه أن يكون الجنين قبل كونه نطفة, فهذه زيادة لا يؤبه لها, وفسادها يغنى عن إفسادها.**

4- ما أورده ابن أبي حاتم فى تفسيره (سورة الحج حديث رقم 14634), **تعليقًا عن ابن مسعود – رضى الله عنه – ولفظه:**

عَنْ عَبْد الله بن مسعود، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الصادق المصدوق: "إِنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثُمَّ يكون علقة مثل ذَلِكَ، ثُمَّ يكون مضغة مثل ذَلِكَ، ثُمَّ يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح...... الحديث" .

فلا يخرج عن حالين:

الأولى: إما أن يكون السند صحيحًا واختصره المصنف, فتكون اللفظة شاذة.

الثانية: أن يكون السند ضعيفًا , فتكون اللفظة منكرة, وفى كلا الحالين فهى لا تثبت.

أما المرويات التفسيرية عن بعض الصحابة, فجلُّ أسانيدها لا تخلو من ضعف, ولا تثبت فى ميزان النقد الحديثى, وأما القوى منها فليس للتوقيت ذكرٌ فيها.

ومما لاشك فيه أن فى الحديث محذوفًا ظاهرًا بحيث يدركه الناظر فى الكلام، والحذف أحد قسمى الإيجاز الذى هو من أدق الأساليب وأكثرها حكمة ، وأملئها بلاغة ، وأوسعها خبرة ، وأغزرها معنى، وهو شطر البلاغة، أو هو كل البلاغة كما يرى قوم من خبراء الأساليب.

ومعنى الإيجاز فى اللغة يدور حول الإقلال والاختصار, أما فى اصطلاح البلاغيين فيدور حول قلة الألفاظ مع كثرة المعانى.

وقد وضع البلاغيون للحذف شرطين لازمين:

أحدهما: أن يدعو إليه داع بلاغى يجعل الحذف أبلغ من الذكر.

الثانى: أن يكون فى الكلام بعد الحذف دليل يدل على المحذوف .

فإذا تخلف الشرط الأول سموا الحذف اعتباطا، أى خاليا من الحكمة, وإن وجد الشرط الثانى.

وإذا تخلف الشرط الثانى سموا الحذف إجحافا, وإن وجد الشرط الأول.

وإذا تخلف الشرطان معا سقط الكلام عن درجة البلاغة وصار نوعا من الهذيان.

وجعلوه على درجاتٍ, منها: أن يكون المحذوف كلمة مفردة اسمًا كانت أو فعلًا (وهذا ما ذهب إليه شراح الحديث ومن نُقِل عنه من أهل العلم والفضل القول بالأربعينات الثلاث على أن المحذوف هو: كلمة " نطفة ").

وهذه نظرة قاصرة , فما وجه البلاغة فى حذف هذه اللفظة مجردة وهى معلومة بداهة ؟!

وعند التحرى فى ألفاظ الحديث الثابتة عند أهل هذا الفن, نجد أن الإمام مسلم قد رواه بلفظٍ أتم من غيره, قال- رحمه الله- : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ- وَاللَّفْظُ لَهُ- حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ قَالُوا حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ

يَكُونُ فِى ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ... وذكر الحديث».

وبنظرة عابرة فى سياقات الحديث يتبين أنه من صدره إلى عجزه مركب من عدة جمل فعلية , فأولى وأحرى أن يكون المحذوف أيضا جملةً فعليةً.

والشاهد من السياق عاليه هو قوله:"ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ". فترجح أن المحذوف جملةٌ فعليةٌ, تقديره "يكون فى ذلك نطفةً وقتًا محددًا" .

وهذا الحديث بألفاظه يقرر أن خلق الإنسان يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا , وتحديدًا فى ثنتين وأربعين ليلة كما فى حديث حذيفة بن أسيد: "إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ..... الحديث".

ومن البدهى أن التصوير وخلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظام لا يكون إلا بعد مرور تلك الأطوار الثلاثة – أعنى النطفة والعلقة والمضغة – , كما فى قوله تعالى : " ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ".

وقد تقرر فى الأصول أن الجمع بين الأدلة واجب ما أمكن , كما اتفق الفقهاء على أن إعمال الكلام أولى من إهماله, , ذلك لأن الجمع فيه إعمال للأدلة جميعها فى وقت واحد, فإن أمكن الجمع فلا يحل العدول عنه إلى غيره, وهذا من تقدير واحترام كلام الشارع.

وعليه فقوله– صلى الله عليه وسلم–" ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ ـ مِثْلَ ذَلِكَ", لم يرد منه أن طور العلقة وطور المضغة سيأخذان من الوقت ثمانين يومًا, وإنما المراد – والله تعالى أعلم– أن هذين الطورين سيأخذان من الأربعين حصتهما, ودليله أن قوله – صلى الله عليه وسلم–:"فى ذلك" عائد على سابقه من كلامه – صلى الله عليه وسلم–, يعنى: يكون ذلك الخلقُ فى ذلك الجمع و الزمن المقدر"أَرْبَعِينَ يَوْمًا" نطفةً وقتًا محددًا, ثم يكون فى ذلك الجمع و الزمن المقدر علقةً "مثل ذلك" أى: أنه سيأخذ مثل الوقت الذى أخذه سابقه, بلا زيادة أو نقصان, كذا المضغة, لأن المثلية أصل فى اللغات السامية كلها وهى مشتقة من الثلاثى (الميم والثاء واللام) وتتضمن فيها جميعا المماثلة والمساواة.

وقد بين الطب الحديث تفصيلًا لما قرره الأطباء قديمًا, أن بداية طور العلقة فى اليوم الخامس عشر, مما يعنى أن طور النطفة قد أخذ من الوقت أربعة عشر يومًا, فحاصل مجموع الأطوار

الثلاثة: 14 يوما × 3 أطوار = 42 يومًا, وهو ما جاء صريحًا فى حديث حذيفة بن أسيد – رضى الله عنه– " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة .... الحديث".

بيد أن شراح الحديث ذهبوا إلى أن المماثلة عائدةٌ على الأربعين فقالوا: بأن الأربعين يومًا مرحلةٌ أولى خاصة بطور النطفة – استنباطًا لا نصًا – , ثم يأخذ طور العلقة دورته أربعين يومًا أخرى ومثله طور المضغة , وتأول من تأول منهم النص المفسر– وهو حديث حذيفة– على أن ظاهره غير مراد, والحق أنه على ظاهره " وقد رد ابن رجب الحنبلى– رحمه الله– هذا التأويل من قبل, انظر: جامع العلوم والحكم" , أما غير المراد فهو ظاهر حديث ابن مسعود – رضى الله عن صحابة النبى أجمعين– مع أن الزيادة المشار إليها ءانفًا , توضح المراد توضيحًا لا مرية فيه ولا تكلف.

وحتى لا يتقول متقول أنى أنتقص من قدر علمائنا, فحسبهم أنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين أناروا لنا الطريق , وأسسوا القواعد كى نسير على هدىً من أمرنا, فما من أحد جاء بعدهم إلا واستقى من موردهم العذب الزلال,وما من فهم إلا ولهم اليد الطولى فيه, ذلك بأنهم اتبعوا ما أنزل الله على رسوله– صلى الله عليه وسلم–, ولم يقدموا عقولهم وءارائهم على كلام الله وكلام رسوله– صلى الله عليه وسلم–,ولم يطالبوا أحدًا بتقديس كلامهم, كما قال الإمام أحمد– رحمه الله– :"لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى ولا الأوزاعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا".

وعند التأمل فى اللفظ النبوى لحديث حذيفة – رضى الله عنه – نلحظ أن النبى – صلى الله عليه وسلم– لم يقل " إذا مر على النطفة" , وإنما أتى اللفظ بحرف (الباء) الانفجارى.

ونبينا– صلى الله عليه وسلم– قد أوتى جوامع الكلم –كما صح عنه– , وكل اسم أو فعل أو حرف نطق به النبى– صلى الله عليه وسلم– فهو وحىٌ, ولا يؤدى نفسَ المعنى غيرُه, وقد ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم– أنه قال:" ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه" . (صحيح الجامع الصغير للألبانى).

وباستعراض معانى المصادر الجذور التى تتصدرها (الباء) فى المعجم الوسيط, لوحظ أن معانيها موزعة بين ثلاث فئات رئيسية وهى:

1– الحفر والبقر. 2– التوسع. 3– الظهور والبيان.

فالحفر والبقر ظهر فى طور النطفة عند اختراق الحوين المنوى البويضة , وانغراسها فى بطانة الرحم.

ويتضح التوسع فى خصائص طور العلقة حيث تستمر الخلايا فى الانقسام والتكاثر حتى يتصلب الجنين ويحاط بمائع مخاطى, ويعتمد فى التغذى على دم الأم, وتظهر الكتل البدنية أعلى اللوح الجنينى, وتبدأ الدورة الدموية فى العمل.

أما الظهور والبيان فقد بدا جلياً فى طور المضغة عند ظهور الفلقات, مما يشبه طبع الأسنان فى المادة الممضوغة, وتغير أوضاع الجنين بشكل ملحوظ فى هذا الطور.

كما أنه من ضمن استعمالات حرف (الباء) : التعدية, وأكثر ما يعدى الفعل القاصر, ولا يطلق مصطلح " المتعدى بالحرف " على الفعل إلا إذا كان المتعدى إليه بهذا الحرف (مفعولاً به), كما فى هذا الحديث (بالنطفة). (لمعرفة المزيد عن خصائص الحروف واستعمالاتها يراجع: حروف المعانى بين الأصالة والحداثة. للبارع الدكتور: عباس حسن – رحمه الله –).

ولأن النطفة هى أول ما يمر من أطوار , فقد استغنى بها عن ذكر الأطوار الباقية والمفصلة فى الآيات والأحاديث الأخر, وهذا من أساليب العربية ونظائره كثيرة فى الكتاب والسنة.

بالإضافة إلى أن الملك لا يؤمر بالكتابة إلا بعد مرور تلكم الأطوار كما هو ظاهر الأحاديث.

فما أُجمِل هنا فُصِّل هناك , وما فُصِّل هنا أُجمِل هناك!.

بقى أن يقال: هذا خرق للإجماع المنقول؟! وقد تقرر أن الإجماع حجة شرعية يجب قبوله والمصير إليه وتحرم مخالفته.

أقول : " اثبت العرش ثم انقش", فهذه دعوى والدعاوى يستدل لها لا بها, وذلك لما يأتى :

أولاً: أن الإجماع كما هو عند الأصوليين: " اتفاق مجتهدي عصرٍ من العصور من أمة محمد– صلى الله عليه وسلم– بعد وفاته على أمر ديني", فلايصح اتفاق بعض المجتهدين دون البعض الآخر.

ثانياً: ينقسم الإجماع إلى عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة:

1– فباعتبار ذاته ينقسم الإجماع إلى إجماع قولي، وإلى إجماع سكوتي.

فالإجماع القولي وهو الصريح: «أن يتفق قول الجميع على الحكم بأن يقولوا كلهم: هذا حلال، أو: حرام » ، ومثله أن يفعل الجميع الشيء، فهذا إن وجد حجة قاطعة بلا نزاع. (وما نحن بصدده ليس منه, ودونه خرط القتاد).

والإجماع السكوتي أو الإقراري هو: " أن يشتهر القول أو الفعل من البعض فيسكت الباقون عن إنكاره ".

ومثله الإجماع الاستقرائي وهو: "أن تُستقرأ أقوال العلماء في مسألة فلا يُعلم فيها خلافٌ " .

وقد اختلف العلماء في حجية الإجماع السكوتي، فبعضهم اعتبره حجة قاطعة، وبعضهم لم يعتبره حجة أصلاً، وبعضهم جعله حجة ظنية.

لذلك فإن الإجماع السكوتي لا يمكن إطلاق الحكم عليه، بل لابد من النظر في القرائن وأحوال الساكتين، وملابسات المقام. (للاستزادة: انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص 156).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فَهَذَا الْإِجْمَاعُ (يعنى:الإقراري والاستقرائي) وَإِنْ جَازَ الِاحْتِجَاجُ بِهِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُدْفَعَ النُّصُوصُ الْمَعْلُومَةُ بِهِ لِأَنَّ هَذَا حُجَّةٌ ظَنِّيَّةٌ لَا يَجْزِمُ الْإِنْسَانُ بِصِحَّتِهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْزِمُ بِانْتِفَاءِالْمُخَالِفِ وَحَيْثُ قَطَعَ بِانْتِفَاءِالْمُخَالِفِ فَالْإِجْمَاعُ قَطْعِيٌّ. وَأَمَّا إذَا كَانَ يَظُنُّ عَدَمَهُ وَلَا يَقْطَعُ بِهِ فَهُوَ حُجَّةٌ ظَنِّيَّةٌ وَالظَّنِّيُّ لَا يُدْفَعُ بِهِ النَّصُّ الْمَعْلُومُ لَكِنْ يُحْتَجُّ بِهِ وَيُقَدَّمُ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ بِالظَّنِّ وَيُقَدَّمُ عَلَيْهِ الظَّنُّ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَمَتَى كَانَ ظَنُّهُ لِدَلَالَةِ النَّصِّ أَقْوَى مِنْ ظَنِّهِ بِثُبُوتِ الْإِجْمَاعِ قَدَّمَ دَلَالَةَ النَّصِّ وَمَتَى كَانَ ظَنُّهُ لِلْإِجْمَاعِ أَقْوَى قَدَّمَ هَذَا, وَالْمُصِيبُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَاحِدٌ.(مجموع الفتاوى ج19 ص267, 268).

وأما باعتبار عصره إلى إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع غيرهم :

فإجماع الصحابة يمكن معرفته والقطع بوقوعه، ولا نزاع في حجيته.

وأما إجماع غير الصحابة ممن بعدهم فإن أهل العلم اختلفوا فيه من حيث إمكان وقوعه، وإمكان معرفته والعلم به. (معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص 158).

وقد نقل عن الإمام أحمد قوله المشهور:«من ادعى الإجماع فهو كاذب» وقد حملها أهل العلم على عدة أوجه، لكونه – عليه رحمة الله – يحتج بالإجماع ويستدل به في كثير من الأحيان مع أن ظاهر هذه المقالة منع وقوع الإجماع، ومن هذه الأوجه:

أنه قال ذلك من باب الورع لجواز أن يكون هناك خلاف لم يبلغه، أو أنه قال ذلك في حق من ليس له معرفة بخلاف السلف، ويدل على ذلك تتمة كلامه السابق، إذ يقول:"من ادعى الإجماع فهو كاذب لعل الناس اختلفوا، هذه دعوى بشر المريسي والأصم، ولكن يقول: " لا نعلم الناس اختلفوا" إذا هو لم يبلغه.

ونقل عنه أيضًا أنه قال: " هذا كذب ما أعلمه أن الناس مجمعون؟" ولكن يقول: " لا أعلم فيه اختلافًا " فهو أحسن من قوله: "إجماع الناس".

لذلك يقول الإمام الشافعي: " فإن قال قائل: وأنت قد تصنع مثل هذا فتقول: هذا أمر مجتمع عليه، قال: لست أقول ولا أحد من أهل العلم هذا مجتمع عليه إلا لما لاتلقى عالمًا أبدًا إلا قاله لك وحكاه عمن قبله؛ كالظهر أربع، وكتحريم الخمر وما أشبه هذا". (الرسالة ص 144).

فعُلِم بالنقل عن هذين الإمامين أن الواجب الاحتياط في نقل الإجماع والتثبت في ادعائه ، فإن الجزم باتفاق العلماء وإجماعهم من قبيل عدم العلم وليس من قبيل العلم بالعدم ، لا سيما وأن أقوال العلماء كثيرة لا يحصيها إلا رب العالمين، وعدم العلم لا حجة فيه ، فلذلك كانت العبارة المختارة في نقل الإجماع أن يقال: لا نعلم نزاعًا، أما أن يقال:" الناس مجمعون " فهذا إنما يصح فيما عُلم واشتهر ضرورة الاتفاق عليه.

يقول الشوكانى (رحمه الله) فى كلام نفيس له : فإذًا العلم باتفاق الأمة لا يحصل إلا بعد معرفة كل واحد منهم ، وذلك متعذر قطعًا , ومَن ذلك الذي يعرف جميع المجتهدين من الأمة في الشرق والغرب وسائر البلادالإسلامية, فإن العمر يفنى دون مجرد البلوغ إلى كل مكان من الأمكنة التي يسكنها أهل العلم فضلًا عن اختبار أحوالهم، ومعرفة من هو من أهل الإجماع منهم، ومن لم يكن من أهله ومعرفة كونه قال بذلك أو لم يقل به .....

ومن أنصف من نفسه علم أنه لا علم عند علماء الشرق بجملة علماء الغرب والعكس فضلًا عن العلم بكل واحد منهم على التفصيل وبكيفية مذهبه وبما يقوله في تلك المسألة بعينها....

فإن أراد الاتفاق باطنًا وظاهرًا فذلك مما لا سبيل إليه البتة والعلم بامتناعه ضروري ، وإن أراد ظاهرًا فقط استنادًا إلى الشهرة والاستفاضة ، فليس هذا هو المعتبر في الإجماع .....

ومن ادعى أنه يتمكن الناقل للإجماع من معرفة كل من يعتبر فيه من علماء الدنيا، فقد أسرف في الدعوى وجازف في القول لما قدمنا من تعذر ذلك تعذرًا ظاهرًا واضحًا.(إرشاد الفحول ص195 , 196 مختصرًا).

ثم أين ذاك الإجماع من المصنفات المؤلفة فى هذا المجال؛ كإجماع ابن المنذر – وهو من أوثق ما كتب فى هذا الفن–, ومراتب ابن حزم؛ ونقده لشيخ الإسلام (رحم الله الجميع رحمة واسعة).

وفي قول القائل – واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر– نظر ظاهر. فقد نُقِل عن ابن سيرين ما ظاهره أنه يرى أن نفخ الروح قد يكون قبل الأشهر الأربعة , وذلك فيما ذكره الموفق ابن قدامة فى المغنى قال:"فأما من لم يأت له أربعة أشهر فإنه لا يغسل ولا يصلى

عليه ويلف في خرقة ويدفن ولا نعلم فيه خلافا إلا عن ابن سيرين فإنه قال : يصلى عليه إذا علم أنه نفخ فيه الروح" (المغنى – كتاب الجنائز– مسألة وفصل : تغسيل السقط والصلاة عليه 2 / 393).

ولكأنى بعلّامة عصره وفريد دهره ابن حجر– رحمه الله– ينقض عرى هذا الاتفاق – على استحياء– قبل أن يحكيه, عندما أورد (بالمأثور) الاختلاف فى ابتداء جمع المني, وبما نقله عن ابن المهذب الطبيب من اتفاق الأطباء – إذ أنهم أهل الذكر فى مثل هذه الأمور (بما لا يتعارض مع الوحى المعصوم, وإلا فقولهم مردود ولا كرامة)– على أن خلق الجنين فى الرحم يكون فى نحو الأربعين, ويكون أقبل للشكل والتصوير.

ثم قال(ص 485):ومال بعض الشراح المتأخرون إلى الأخذ بما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد من أن التصوير والتخليق يقع في أواخر الأربعين الثانية حقيقة, قال:وليس في حديث ابن مسعود ما يدفعه واستند إلى قول بعض الأطباء...........إلخ".

ولعله يشير إلى ما قرره الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلى (جامع العلوم والحكم/ تحقيق د: ماهر ياسين فحل/ ج 6 ص 8) فى معرض شرحه للحديث حيث قال:

وقد ورد في حديث حذيفة بن أسيدٍ ما يدلُّ على خلقِ اللَّحمِ والعِظام في أوَّلِ الأربعين الثانية, ففي صحيح مسلم – وساق الحديث بتمامه – , ثم قال : وظاهر هذا الحديث يدلُّ على أنَّ تصويرَ الجنين وخلقَ سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه يكون في أوَّل الأربعين الثانية ، فيلزمُ من ذلك أن يكون في الأربعين الثانية لحماً وعظاماً .

وقد تأوَّل بعضهم ذلك على أنَّ المَلَك يقسِمُ النُّطفةَ إذا صارت علقةً إلى أجزاء، فيجعلُ بعضَها للجلد، وبعضها للحم، وبعضها للعظام، فيقدِّر ذلك كلَّه قبل وجوده. وهذا خلافُ ظاهرالحديث ، بل ظاهرُه أنَّه يصوِّرها ويخلُق هذه الأجزاء كلها ، وقد يكون خلقُ ذلك بتصويره وتقسيمه قبل وُجودِ اللحم والعظام ، وقد يكون هذا في بعض الأجِنَّةِ دُونَ بعض . ا هـ

ومما يجعل النفوسَ مشدوهةً والعقولَ موقوفةً شاهدة بعميق فهم علماء المسلمين , حديثُهم عن علامات نفخ الروح؛ يقول العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

فإن قيل: الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟ قيل كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه وإغتذائه بالإرادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه و اغتذائه. ا هـ (التبيان فى أقسام القرءان ص 218).

وأيده الحافظ ابن حجر حيث يقول:

ولا حاجة له (أى الجنين) حينئذ إلى حس ولا حركة إرادية لأنه حينئذ بمنزلة النبات وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به. ا هـ (الفتح ج 11 ص 482).

وبذلك فقد أعاد العلمان الجليلان علاماتِ نفخ الروح إلى وجود الإحساس والحركة الإرادية, ومعلومٌ طبيًا أن الجهاز العضلى (الحركى) هو نهاية مرحلة التخلق, ويبدأ تكوينُه في نهاية الأسبوع السابع ويستمر إلى نهاية الأسبوع الثامن, حينها يكون متأهبًا لنفخ الروح استعدادًا للنشأة الأخرى, والتى من أعظم ميزاتها الإرادة الذاتية.

وحاصل القول فى المسألة يتلخص فى النقاط التالية:

1- أن المدة المقدرة لإتمام الأطوار الثلاثة الأول: " النطفة, العلقة, المضغة " هى ثنتان وأربعون يومًا وليلةً .

2- أن قوله – صلى الله عليه وسلم- " ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ " ظاهره دخول الملك أثناء مرور الجنين بطورى العظام والكساء, دل عليه حديث أنس – رضى الله عنه- : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ : أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَل ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ " "متفق عليه واللفظ للبخارى".

وفى لفظٍ لحديث حذيفة – رضى الله عنه- السابق: "يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِى الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَيُكْتَبَانِ فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيُكْتَبَانِ وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ" (رواه مسلم).

3- أن نفخ الروح يكون بعد الإنتهاء من الكتابة وطورى العظام والكساء, أى بعد مضى ثمانية أسابيع من ابتداء جمع الخلق فى بطن الأم, مع مراعاة الفاصل الزمنى لحرف العطف (ثم), دل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم- " ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ " مع قوله تعالى: " ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" (المؤمنون 14).

مع إقرارى التام بأن الفهم يصيب ويخطئ, كما أن التجربة العلمية أيضًا تصيب وتخطئ, وتبقى الحجةُ قائمةً فى الوحى المنزل متمثلًا فى القرءان العظيم , وصحيح السنة النبوية على صاحبها

أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ويظل السؤال : ما هو اليوم أو اللحظة التى تنفخ فيها الروح تحديدًا ؟!

هذا ما لا سبيل لأحد إلى معرفته أو التكهن به, فقد قال ربنا – تبارك وتعالى– :" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " (الإسراء 85).

هذا ما أردت جمعه و تحريره على قلة بضاعتى, فإن كان حقًا وصوابًا, فالفضل والمنة لله وحده, وإن تجد عيبًا فسُدَّ الخلل، فالكمال المطلق لله جل و علا, وعمل البشر مناطه النقص وإنما هي مشاركة ، أرجو الله أن ينفع بها مؤلفها وقارئها ، وكل يخدم هذا الدين بما يستطيعه ، فهذه بضاعتي المزجاة أضعها بين يديك لتشهد على مقيدها بالإحسان أو التقصير ، فالعذر العذر مما تراه من الزلل ، فهذا هو الوسع والطاقة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

يَا ذَا المَعَارِجِ كم سَألْتُكَ نعمةً فَمَنَحتَنِيهَا بِالذُّنُوبِ الأوْفَرِ
أيّ العَوَارِفِ مِنكَ أشكُرُ فَضْلَهُ عَجَزَ المُقِلُّ وَزَادَ طَولُ المُكْثِرِ

فيا رب عذرًا من التقصير والخطأ واجعلني دائرًا بين الحسنيين إما الأجران أو الأجر ولا تحرمني بركة العمل بما علمتني ، وإني لمعترفٌ بعظم فضلك وقلة أدبي فلا حول ولا قوة إلا بك ، فهذا ما كتبته يداي المذنبتان ، فلا تجعله يا رب وبالًا علي وانفعني به وإخواني ، واجعله عملًا صالحًا وتقبله وبارك فيه ، وأنت يا رب أعلم وأعلى ، والحمد لك أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . (خاتمة " تحرير القواعد ومجمع الفرائد " لفضيلة الشيخ وليد بن راشد السعيدان "حفظه الله").

كتبه : الفقير إلى عفو ربه أبوسفيان ناصر بن محمود يوسف الهاشمى .

محافظة السويس . جمهورية مصر العربية (حرسها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين).

ت محمول : 01555379729

تم الفراغ منه السبت التاسع من ربيع الآخر لعام ثمان وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة, الموافق السابع من يناير لعام سبع عشرة وألفين من الميلاد.

نسخة معدلة ومزيدة فى: 7 رمضان 1439هـ الموافق 23 مايو 2018م